



يمكن قبول حقيقة أن القدرات ما تزال بدائية. يمكن قبول الحرب الراهنة على أنها تدريب. ولكن ليس من المعقول أن تواصل خوضها كتدريب. الدرس الوحيد الذي يفترض أن تكون إسرائيل قد تلقتته من هذه التجربة (حيث سقطت الحصانة، واتسعت قابلية التمرد) هو أن السلام، بكل ما يعنيه من تنازلات، بات ضروريا لبقائها نفسه. فإذا لم تتركه، فاقرا على الباقين السلام، واعمل لساعة شؤم مجيد.

هم لن يترددوا في القتل الجماعي. سوف يقومون بنسف كل شيء، ويستخدمون كل ما لديهم من أسلحة. فلا تتردد في فعل ما يفعلون. الحروب كوارث دائما. إذا أردت خوضها، فحُضها وكأنها يوم القيامة. لا توجد حلول أخرى. كل الذين ماتوا في حروبنا مع إسرائيل كانوا يظنون أنها حرب يوم القيامة. ومن المعيب، بعد كل الذي عرفناه، أن تجزّب حربا أخرى أقل من ذلك.

لا تلعب مع إسرائيل قبل أن تستعد لدمار شامل، وفرضه في أن واحد. هذا هو الحل. ولا تخض حربك بانفعالات عواطف. كل الذين حاربوا بانفعالاتهم هُزموا. الحرب أعقد من أن تترك للغرائز. إنها حساب عاقل وقرار صارم واستعداد معين، من أجل الفوز، لا من أجل تكديس الجثث.

## العنف والخطورة وساعة الشؤم المجيد

لن تكف عن إذلالك والسعي إلى سحقك وإبقتك سجيناً إلى الأبد. أوشفيتز المحرقة قائمة فيه. والإسرائيليون، بمعظمهم، سعداء تماماً بقتل الأطفال والنساء. هذا شيء لا يحرك شعرة في عقب أحد. وإذا ظهر من يمثل هذا الدور، فإنه يُمَثَل. النازية لا تحقق أنصاف انتصارات. كما أنها لا تتقبل أنصاف الهزائم. انس حل الدولتين أيضا. لا تذهب إلى أي مفاوضات. اترك الخطورة لتفعل المزيد. هذا مفيد لكي يأتي الانفجار المقبل شاملاً أكثر، ويكون الانهيار شاملاً أيضا.

اجعل ذلك واضحا للجميع. الكل يجب أن يفهم أن المعركة المقبلة لن تكون مجرد جولة في سلسلة لا تنتهي من الجولات لتسجيل النقاط الصغيرة، أو المواقف الصغيرة. ثم لا تبعث برسائل سياسية عن طريق الصواريخ، على حساب أكراد جديدة من جثث الأطفال والنساء. هذا عبث. رسالتك الوحيدة هي إما الدمار الشامل أو الاستسلام الشامل. لا توجد حلول وسط. فإذا لم تكن مستعدا لمعركة فاصلة، فاستعد لها على الأقل، حتى تحين ساعة الشؤم المجيد. إذا أردت أن تمارس عملا من أعمال العنف، فاجعله أداة تغيير شامل. أي شيء أقل، هو لعب أطفال. الراجح حق بعنفه التغيير الذي أراد. فرضه بالقوة على الأرض. وزاد عليه بالخطورة. إسرائيل ليست بلدا. إنها معسكر حرب. وما تراه من حياة مدنية، هو مجرد ظاهرة شكلية. إنها إجازة مجندين.

والصواريخ وحدها لا تكفي. يجب أن تتوفر استعدادات لخوض المعركة بكل الأسلحة الأخرى. كلها دفعة واحدة. إذا توفر لديك مئة ألف صاروخ، أطلقها جميعا. لا تنتظر شيئا، ولا أحدا. اجعلها فوكك الوحيد. واستعد للاقتحامات التي تليها بإطلاق نار لا يتوقف حتى تنضب القذائف، ومن بعدها السكاكين. لا تستطيع أن ترمح مع الراجح الرابع. عندما تبدأ قتالا، فلا تتوقف في منتصف الطريق، حتى إذا حصلت على عرض تسوية. اعمل ما فعله السوفييت والحلفاء، حتى تدخل عقر دار هتلر، لتراد منتحرا. هذا هو الحل الوحيد.

يمكن للاتحاد السوفييتي أن يتوقف عند حدوده فقط، في رد الجيوش التي اقتحمت ثلث أراضيه؛ وهل كان يمكن لقوات الحلفاء أن تتوقف عند تحرير فرنسا أو بلجيكا؟ الجواب واضح. لأن مسالك العنف والخطورة عندما تتأصل في النفس لا تترك سبيلا لحلول أخرى. إسرائيل لن تقبل بالحلول التي تتطلبها قرارات مجلس الأمن الدولي، ولا بحل الدولتين ولا التخلي عن بقاء الاحتلال في الشطر الشرقي من القدس، ولن تسمح للفلسطينيين بأن يشكوا دولة على أراضي العام 1967. هذا لن يحصل.

أحد أهم الاعتراضات عليها هو أنها أقل فاعلية مما يجب. لا تشكل تهديدا حقيقيا لكي يملي الرعب أو يحقق "توازننا" فيه. وفي المقابل، فإن الثمن الذي يدفعه الفلسطينيون باهظ للغاية. رئيسيان في إسرائيل هما: يمين متطرف، ويمين أكثر تطرفا. وكلاهما يتسابق في ممارسة العنف ضد الفلسطينيين. والكل يؤمن بأنه لا سبيل لتفاسم القدس. لا أحد يستطيع أن يقول غير ذلك. ثقافة العنف والخطورة حققت انتصارا لا رجعة فيه. الراجح الرابع استكمل كل ما يحتاجه من مقومات للضحي قداما.

ماذا يعني ذلك بالنسبة إلى المعركة المقبلة؟ إنه يعني، من الجانب الفلسطيني، الاستعداد لدمار شامل. قد يشمل استخدام أسلحة نووية ضد غزة. ولكنه يجب أن يعني في المقابل، استعدادا لدمار شامل على الضفة الأخرى.

صواريخ حماس البدائية الراهنة قد تكون مجرد أدوات تدريب. إلا أنها يجب أن تقوى لكي تصبح أداة رد فعلية، وليس لتوجيه رسائل سياسية. توجيه الرسائل ينفع للصواريخ البدائية، التي تتحول إلى أداة للدمار الذاتي. ولكنه لا ينفذ لتغيير الحقائق. أي شيء أقل من تهديد شامل سيكون مكلفا. وإسرائيل تتعمد التهويل فيه، لكي تواجهه بالضرب الشديد. فإذا لم تكن قادرا على مواجهة النار بما يساويها؛ الدمار بدمار مماثل، فلا تلعب. انس الحلول. لا توجد حلول. أقل هذا الباب، إسرائيل لن تراك. والخطورة

نظام نازي كهذا، لا يمكن النظر إليه كأي نظام سياسي آخر. النازية لا تتيح لأحد إلا خيارين فقط: إما أن تملي إرادتها على الجميع بالعنف والخطورة، وإما أن يتم سحقها في المقابل. لا توجد حلول وسط. إسرائيل لا تملك حولا. وهي لن تسمح بحلول. وبالرغم من كل ما تقوله الأعراف والقوانين الدولية وقرارات مجلس الأمن، إلا أنها تضرب بها عرض الحائط، لأن التسوية ليست هي السبيل بالنسبة إليها. السحق هو السبيل. ماذا يعني ذلك بالنسبة إلى الصواريخ؟

أحد أهم الاعتراضات عليها هو أنها أقل فاعلية مما يجب. لا تشكل تهديدا حقيقيا لكي يملي الرعب أو يحقق "توازننا" فيه. وفي المقابل، فإن الثمن الذي يدفعه الفلسطينيون باهظ للغاية.

**إسرائيل لا تملك حولا وهي لن تسمح بحلول، وبالرغم من كل ما تقوله القوانين الدولية وقرارات مجلس الأمن التي تضرب بها عرض الحائط، فالتسوية ليست هي السبيل إليها بل السحق هو السبيل**

إسرائيل تلعب مع الفلسطينيين لعبة الدمار الشامل، الفردي أو الجماعي. حيال أبسط مظاهر التمرد. وهذا ما يجعل صواريخ حماس مصرا للذات. ولكن انتظر لحظة. المسألة لا تتعلق بالمعركة الراهنة. هذه متمضي كما مضت حرب 2014. إنما المعركة المقبلة هي التي يفترض أن تكون الأخيرة. إسرائيل يجب أن ترى الهزيمة ماثلة قبل أن تقتنع بحق الآخر في الوجود. هذه هي المعادلة الوحيدة التي تفرضها النازية على نفسها وعلى الآخرين. هل كان يمكن للعالم أن يتعاشب مع هتلر بغير هذا السبيل؟ هل كان



علي الصراف كاتب عراقي

الهمجية المطلقة التي تمارسها إسرائيل ضد المدنيين الفلسطينيين، وأعمال التدمير المنهجي للمنازل والأبراج السكنية في غزة، ليست في الواقع ردا على صواريخ حماس. إنها تجسيد للخطورة. إنها تنذر وحشي لمن يمتلك القوة ويحسب أنها تكفي لكي يفرض كل ما يريد، بما في ذلك سحق البشر والحرص على إذلالهم. الفلسطينيون سجناء أصلا. محرومون من كل شيء. لا يملكون شبرا من الأرض التي تحت أقدامهم ولا يتمتعون بأي حقوق. العنصرية القورانية لا تنظر إليهم، من الأساس، إلا على أنهم كائنات لا ترفى إلى مستوى البشر. غير اليهودي لا يوجد بشر. إنها بالضبط النظرة النازية نفسها للفقير العرقي. ويفضلها جاز للرايح الثالث أن يسحق الملايين، ويفضلها يجوز للرايح الصهيوني الرابع أن يكرر الشيء نفسه ضد الملايين.

لا شيء جديدا في ذلك. عصابات مثل "شنتين" و"هاغاناه" التي وقتت وراء قيام دولة إسرائيل استندت إلى تلك الوحشية لتفرض نفسها بالقوة. وظلت المجازر تترى. تاريخ الصراع مع إسرائيل هو تاريخ مجازر. وكلما توفرت فرصة لإسرائيل، أو أي ذريعة، فإنها تعتمد إلى الرد عليها بمجزرة. لأنها تحقق الغرضين معا: الترهيب وإملاء إرادة القوة.

لا يهتم ما تملكه إسرائيل من دعم خارجي يسمح لها بتغطية كل ما ترتكبه. ذلك مجرد نفاق، تعرف إسرائيل نفسها أنه نفاق يقصد تغطية العنصرية التاريخية التي عومل بها اليهود في كل مراحل التاريخ الأوروبي بعد سقوط الأندلس. وبالرغم من أنها تستفيد منه، إلا أنها لا تعول عليه. تعول على قدرتها الخاصة على السحق أعمال الإبادة. وتشعر بأن الوقت يضيق. ولهذا السبب فإنها تدفع بكل ما تملك لكي تحقق المجزرة اغراضها، ويستكمل المشروع الاستيطاني ما بقي عالقا في القدس وغيرها.

## لن تنقلب الدنيا على الأردن لو سحب سفيره من إسرائيل

وصحافيين وكُتابا محسوبين على أجهزة الحكم لم يترددوا في الحديث عن دور الموساد في المخطط الذي قالت الحكومة إنه بقيادة ولي العهد السابق الأمير حمزة. حتى بالنسبة إلى واشنطن، الحليفة التقليدية للدولة العبرية، فليس من المتوقع أن تتأثر علاقاتها كثيرا مع الأردن في حال قررت عمان اتخاذ إجراء دبلوماسي قوي يضع حدودا جديدة للعلاقة المتأرجحة مع تل أبيب والتي ينبغي أن تكون حساسة تجاه أي انتهاكات إسرائيلية في فلسطين، وخصوصا في القدس. لا شك في الدعم الأمريكي للامحدود لإسرائيل ومعارضة واشنطن لأي إجراء دبلوماسي ضد حليفها، ولا شك أن الأردن، حليف الولايات المتحدة أيضا، سيدفع ثمنها لهذا الإجراء. لكن هل كان على المملكة الاستفادة في ذلك من التغيير الذي طرأ على الإدارة الأميركية ووصول جو بايدن إلى الحكم بعد الاختراقات التي حققها ترامب لصالح إسرائيل وأضعفت موقف الأردن وأثارت قلقه؟ وحين لم يستثمر الأردن أيا من هذه المسوغات، انحسر تأثيره في تطورات المشهد على الضفة الأخرى من النهر، وانتهى إلى جزء من مبادرة وساطة بقيادة فرنسا ومشاركة مصر لوقف النار بين حماس وإسرائيل.

لم تكن الدنيا لتقلّب على الأردن لو قرّر مثلا خفض التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل أو غيرها من الخطوات الأخرى المرتبطة باتفاق الغاز أو معاهدة وادي عربة، بل سوف تؤسس أجهزة الحكم لطريقة جديدة في التعامل مع إسرائيل، وتكون أكثر قربا إلى توجهات الناس والمزاج العام الذي عكّره وأحبطته قصة "الانقلاب" غير المفهومة حتى الآن وسلسلة من الإقالات والاستقالات والتعديلات الوزارية وسوء إدارة أزمة الوباء.

لم تكن الدنيا لتقلّب على الأردن لو قرّر خفض التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل، بل سوف تؤسس أجهزة الحكم لطريقة جديدة في التعامل مع إسرائيل وتكون أكثر قربا إلى توجهات الناس

خرج الخلاف بين الملك ومنتهايو إلى العلن قبل حوالي شهرين حين رفض الأردن فتح أجوائه لطائرة رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي كان متوجها إلى الإمارات في رحلة رسمية، وذلك في ما بدا رداً على المساطلة الإسرائيلية في تنظيم حضور ولي العهد الأمير حسين للصلاة في المسجد الأقصى وإحياء ذكرى الإسراء والمعراج، وهو ما لم يحصل.

هذه الحادثة شكّلت مفاجأة وخطوة أردنية غير مسبوقة في إدارة العلاقات مع إسرائيل، وربما كانت أكبر أثرا أو على الأقل تضاهي قرار تقليص التمثيل الدبلوماسي الذي تتجنبه عمان. الأردن ليس في وارد قطع العلاقات مع إسرائيل ولا تطمح المطالب الشعبية والبرلمانية إلى هذا الحد. لكن دون ذلك هامشا واسعا للتحرك واستخدام الأسلحة الدبلوماسية المشروعة والممكنة للبقاء في دائرة التأثير على ملف القدس والقضية الفلسطينية بصفة عامة. فوق هذا كله، كادت حكومة بشر الخصاونة أن تنتهم إسرائيل صراحة بالوقوف خلف "محاولة الانقلاب"، ولو أن مسؤولين سابقين كبارا

انتهكتها حين هاجمت المسجد الأقصى. يعلم الأردنيون أن خطوات من هذا العيار تتطلب الكلمة الفصل من الملك عبدالله الثاني، وهي خطوات لا تعتبرها الحكومة من مسؤوليتها في المملكة التي تخلت حكوماتها المتعاقبة عن "ولايتها العامة" لصالح أجهزة الحكم الأخرى. لكن العلاقة متوترة أيضا ومنذ سنوات بين الملك ومنتهايو شخصيا. وسبق أن تحدث دبلوماسيون وصحف غربية عن انقطاع تام في التواصل بين الزعيمين. وقيل إن العاهل الأردني لا يردّ على اتصالات رئيس الوزراء الإسرائيلي ويفضل التعامل مع وزراء آخرين في حكومة منتهايو، لأسباب متعلقة خصوصا بالقدس لاسيما بعد اعتراف إدارة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب بـ"القدس الموحدة" عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأميركية إليها.



كل أعضاء مجلس النواب الـ130 لطرده السفير الإسرائيلي وسحب السفير الأردني من تل أبيب؛ أما كان لأجهزة الحكم أن تستفيد من إجماع البرلمان في صياغة موقف رسمي ودبلوماسي أقوى تجاه إسرائيل؛ وهي من جهة أخرى، ربما تمنح البرلمان نافذة للتنفس من طابعه "الديكوري" الجامد في منظومة الحكم؛ رغم مطالب الشارع والبرلمان، اختارت الحكومة الكلام الكثير واللافعال إزاء الممارسات الإسرائيلية في القدس، والمسجد الأقصى الذي كان مسرحا للاعتداءات ويديره موظفون تابعون للحكومة الأردنية. كان في وسع الأردن الاختيار بين جملة من الخطوات التي تجسد غضبه مما يجري في فلسطين من بينها خفض مستوى التمثيل الدبلوماسي أو تعليق اتفاقية الغاز الإسرائيلي وحتى التلويح بمراجعة معاهدة السلام التي يقول الأردن إن إسرائيل



شاكِر رفايعة إعلامي أردني

منذ بداية الاعتداءات الإسرائيلية في المسجد الأقصى والقدس قبل أسابيع وفي ظل التوتر المزمّن في العلاقات بين الأردن وحكومة بنيامين نتنياهو، كان الشارع الأردني يتوقع اتخاذ إجراء دبلوماسي أو اقتصادي ملموس، يجاري انتهاك حرمة المقدسات التي تعترف إسرائيل نظريا بالوصاية الأردنية عليها.

لكن شيئا من ذلك لم يحدث. وضيعت أجهزة الحكم فرصة الاقتراب من توجهات الرأي العام خصوصا في أعقاب أزمة "الفتنة" ومع حالة عدم الاستقرار الحكومي التي سادت المملكة في الشهور الأخيرة، وفوق هذا كله تداعيات الوباء الاقتصادية والاجتماعية، وحتى النفسية. رعاية المقدسات الإسلامية في القدس تمثل أحد أركان الخطاب السياسي الرسمي منذ تأسيس المملكة، التي كانت القدس الشرقية والضفة الغربية جزءا من أراضيها حين احتلتها إسرائيل في حرب 1967. كما نصت معاهدة وادي عربة في 1994 على أن إسرائيل "تحتزم" الدور الأردني في إدارة الأماكن المقدسة وعلى رأسها المسجد الأقصى.

غير أن الأردن لم يعتبر نفسه طرفا في أزمة القدس منذ اندلاعها وحتى مع توسعها إلى هجمات متبادلة بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية في غزة. واقتصر رد الحكومة على التثديد ودعوات الهدوء والوساطة مع أن لديها مروحة من الخيارات التي يمكن أن تناور بها حكومة منتهايو أو على الأقل تسجل موقفا منسجما مع الشارع المحبط الذي شهد مظاهرات احتجاج على ضعف الموقف الرسمي تجاه الأحداث في فلسطين. ثم ماذا يعني أن تتجاهل الحكومة أو أجهزة الحكم، الطلب الذي تقدم به

**العرب**  
أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk